

الأصداء السابقة على المقتل



الأنبياء عليهم السلام ومصيبة الحسين عليه السلام

اتسعت دائرة الأصدقاء المترتبة على مقتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام لتسبق زمن الحادث بعهد طويل ، بل اقتترنت بتاريخ الخلق والأرض والسّماء ، وأوحى الله خبرها إلى الأنبياء عليهم السلام فكانت معروفة معهودة عندهم ، فكما أنّهم بشرّوا بنبوّة النبي الخاتم الذي يأتي في آخر الزّمان فإنّهم أخبروا بمصاب ريحانته وبكوا على مصيبته ، وقد نبأهم الجليل تعالى عن مأساة سنة إحدى وستين قبل عهد الميلاد والتّدوين ، وقد نقل الأئمة الصّادقون عليهم السلام أخبار الأنبياء عليهم السلام في هذا الباب إظهاراً لتلك الحقائق وتأكيداً على عظم المصيبة !!

ويمكننا أن نصنّف ما ورد من تلك الأخبار بحسب الأزمنة على النهج التالي ، سواء كانت رواياتها مسندة أم مرسلة ، فإنّنا نقلناها عن الكتب المعتبرة ، وسنكتفي بعرضها دون تعليق حذر الإطالة ، ولأنّ إيرادها يكفي لتأكيد المطلوب .

ما ورد في آدم عليه السلام

روي في الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرئيل : قل يا حميد

بحقّ محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان.

فلما ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه، وانخسع قلبه وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي.

قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب!!

فقال: يا أخي، وما هي؟

قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول وا عطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحدٌ إلا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المتان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى^(١).

وروي: أن آدم لما هبط إلى الأرض لم ير حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء، فاغتم وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي، هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنني طفتُ جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسأل دمك موافقة لدمه.

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤٥/٤٤).

فقال آدم: يا رب، أ يكون الحسين نبياً؟

قال: لا، ولكنه سبطُ النبيِّ محمد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد، لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأى شيء أصنع يا جبرئيل.

فقال: إلعنه يا آدم، فلعنه أربع مرات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات

فوجد حواء هناك^(١).

ما ورد في نوح ﷺ

روي في بحار الأنوار بإسناد مرفوع إلى أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه

قال: لما أراد الله أن يهلك قوم نوح أوحى إليه أن شقّ ألواح السّاج، فلمّا شقّها لم

يدر ما يصنع بها، فهبط جبرئيل فأراه هيئة السّفينة، ومعه تابوت بها مئة ألف

مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار، فسمر بالمسامير كلّها السّفينة، إلى أن بقيت

خمسة مسامير، فضرب بيده إلى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب

الدرى في أفق السماء، فتحيرّ نوح، فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق: أنا على

اسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ.

فهبط جبرئيل، فقال له: يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟

فقال: هذا باسم سيد الأنبياء محمد بن عبد الله، أسمره على أولها على

جانب السفينة الأيمن، ثم ضرب بيده إلى مسمار ثان، فأشرق وأنار، فقال نوح:

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤٣/٤٤).

وما هذا المسمار؟ فقال: هذا مسمار أخيه وابن عمه سيد الأوصياء علي بن أبي طالب، فأسمره على جانب السفينة الأيسر في أولها.

ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث، فزهر وأشرق وأنار، فقال جبرئيل: هذا مسمار فاطمة، فأسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار، فقال جبرئيل: هذا مسمار الحسن، فأسمره إلى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس، فزهر وأنار وأظهر النداءة، فقال جبرئيل هذا مسمار الحسين، فأسمره إلى جانب مسمار أبيه.

فقال نوح: يا جبرئيل، ما هذه النداءة؟

فقال: هذا الدم، فذكر قصة الحسين عليه السلام وما تعمل الأمة به، فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله.

وروي: أن نوحاً لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء.

فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟

قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات، فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه^(١).

(١) راجع بحار الأنوار (٣٣٢/٢٦) و (٢٤٣/٤٤)، والأمان ص (١١٨)، وقصص الأنبياء ص (٧٨).

ما ورد في إبراهيم عليه السلام

روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام بالإسناد إلى الفضل قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده عليه بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه : يا إبراهيم ، من أحب خلقي إليك ؟

فقال : يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ من حبيبيك محمد.

فأوحى الله إليه : أ فهو أحب إليك أم نفسك ؟

قال : بل هو أحب إليّ من نفسي.

قال : فولده أحب إليك أم ولدك ؟

قال : بل ولده.

قال : فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك

في طاعتي؟

قال : يا ربّ ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال : يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من

بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش ، ويستوجبون بذلك سخطي.

فجزع إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل بيكي ، فأوحى الله عز وجل : يا

إبراهيم ، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على

الحسين وقتله ، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ، وذلك قول الله عز وجل ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وروي : أن إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً ، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه ، فأخذ في الإستغفار وقال : إلهي أي شيء

(١) راجع عيون أخبار الرضا (٢٠٩/١) ، عنه بحار الأنوار (١٣٤/١٢) و(٢٢٦/٤٤) ، والخصال (٥٨/١) ، وقصص الأنبياء للجزائري ص (١٢٩). وقد علّق المرحوم المجلسي رحمه الله على هذا الخبر ، إذ يمكن أن يُشكل عليه بأن يُقال : إذا كان المراد بالذبح العظيم المقدي به هو قتل الحسين عليه السلام فكيف يُفدى من هو أدنى رتبة بمن هو أجل رتبة ، ولا شك في أفضلية أئمتنا عليهم السلام على أولي العزم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء ، ومعنى الفداء ظاهراً هو التعويض عن الشيء بما دونه في الشرف . وأجاب العلماء بأن إسماعيل عليه السلام لو ذُبح لما وُجد نبينا ﷺ وسائر الأئمة عليهم السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام من ولد إسماعيل عليه السلام لأنهم في صلبه ، فكأنه عوض بقتل الحسين عليه السلام عن ذبح الكل ، فهو سرّ امتداد هذه الشجرة الطيبة ، ومعلوم أنّ مرتبة كل الشجرة أجل من مرتبة جزء واحد منها .

وهذا الكلام وإن كان قد صدر عن بعض الأعلام إلا أنّ في النفس منه شيء ، فدعوى أنّ الشجرة أجل من جزئها محلّ نظر ، والذي يمكن أن يُقال أنّه لم يرد في الخبر أنه فدى إسماعيل عليه السلام بالحسين عليه السلام حتّى يُشكل عليه ، بل ورد فيه أنه فدى جزع إبراهيم على إسماعيل بجزعه على الحسين عليه السلام ، وعلى هذا فإنّ المراد بالفداء التعويض ، ولما أسف إبراهيم عليه السلام على ثواب الجزع الذي فاتته على ابنه عوضه الله بالجزع على الحسين عليه السلام الأجل والأشرف والأكثر ثواباً . ولا ينبغي أن يُشكل في أن شهادة الحسين عليه السلام أمرٌ مقررٌ ، قبل رفع قتل إسماعيل عليه السلام فلا يرد الإشكال أصلاً ، وعليه فإنّ الآية تحتمل تقدير مضاف في قوله (فديناه) ، فيكون المقدّر : فديناه بجزع مذبح عظيم الشأن ، ويمكن حمل الباء على السببية ، أي : فديناه بسبب مذبح عظيم لجزعه عليه .

حدث منّي ، فنزل إليه جبرئيل وقال : يا إبراهيم ، ما حدث منك ذنب ، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء ، وابن خاتم الأوصياء ، فسأل دمك موافقة لدمه .

قال : يا جبرئيل ، ومن يكون قاتله ؟

قال : لعين أهل السماوات والأرضين ، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه ، فأوحى الله تعالى إلى القلم : أنك استحققت الثناء بهذا اللعن ، فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح .

فقال إبراهيم لفرسه : أي شيء عرفت حتى تؤمن علي دعائي ؟

فقال : يا إبراهيم ، أنا أفتخر بركوبك عليّ ، فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي ، وكان سبب ذلك من يزيد (لعنه الله) ^(١) .

ما ورد في إسماعيل عليه السلام

روي : أن إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات ، فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً ، فسأل ربه عن سبب ذلك ، فنزل جبرئيل وقال : يا إسماعيل ، سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك !!

فقال لها : لم لا تشربين من هذا الماء ؟

فقالت بلسان فصيح : قد بلغنا أن ولدك الحسين عليه السلام سبط محمد يقتل هنا عطشاً ، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه .

فسألها عن قاتله ، فقالت : يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤٣/٤٤) .

أجمعين، فقال إسماعيل: اللهم العن قاتل الحسين عليه السلام ^(١).

ما ورد في موسى عليه السلام

روي: أن موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجله، وسال دمه، فقال: إلهي، أي شيء حدث مني؟

فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسين، وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: ربّ ومن يكون الحسين؟

ف قيل له: هو سبط محمد المصطفى، وابن علي المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟

ف قيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء،

فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه ^(٢).

ما ورد في إسماعيل بن حزقييل عليه السلام

روي في كامل الزيارات بالإسناد إلى بريد العجلي، قال: قلت لأبي عبد الله

عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث

يقول: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أ

كان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟ فإن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم.

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤٣/٤٤).

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٤٤/٤٤).

فقال ﷺ : إن إسماعيل مات قبل إبراهيم ، وإن إبراهيم كان حجّة لله قائداً صاحب شريعة ، فإلى من أرسل إسماعيل إذن ؟

قلت : فمن كان جعلت فداك ؟

قال : ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ ، بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا وجهه ، فغضب الله عليهم له ، فوجّه إليه سطاطائيل ملك العذاب ، فقال له : يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب ، وجّهني رب العزة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت .

فقال له إسماعيل : لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل ، فأوحى الله إليه : فما حاجتك يا إسماعيل ؟

فقال إسماعيل : يا ربّ ، إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ، ولمحمد بالنبوة ، ولأوصيائه بالولاية ، وأخبرت خلقك بما تفعل أمته بالحسين بن علي ﷺ من بعد نبيها ، وإنك وعدت الحسين أن تكرّه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به ، فحاجتي إليك يا رب أن تكرّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل ذلك بي ما فعل كما تكرّ الحسين ، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك ، فهو يكرّم مع الحسين بن علي ﷺ^(١) .

وروي في علل الشرائع بالإسناد إلى أبي عبد الله ﷺ قال : إن إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ

(١) راجع كامل الزيارات ص (٦٥) ، عنه بحار الأنوار (١٣/٣٩٠) و(٤٤/٢٣٧) و(٥٣/١٠٥) ، قصص الأنبياء ص (٣١٦) .

الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم ، بل كان نبياً من الأنبياء ، بعثه الله عز وجل إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه ، فأتاه ملك فقال : إنّ الله جل جلاله بعثني إليك فمُرني بما شئت ، فقال : لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام^(١) .

وفيه بالإسناد إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام : أن إسماعيل كان رسولا نبياً ، سلط عليه قومه فقشروا جلده وجهه وفروة رأسه ، فأتاه رسول من رب العالمين فقال له : ربك يقرئك السلام ، ويقول : قد رأيت ما صنع بك ، وقد أمرني بطاعتك ، فمُرني بما شئت ، فقال : يكون لي بالحسين بن علي أسوة^(٢) .

ما ورد في سليمان عليه السلام

روي أن سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء ، فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء ، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء ، فقال سليمان للريح : لم سكنتي ؟

فقالت : إن هنا يقتل الحسين عليه السلام !!

فقال : ومن يكون الحسين ؟

فقالت : هو سبط محمد المختار ، وابن علي الكرار .

فقال : ومن قاتله ؟

(١) راجع علل الشرايع (٧٧/١) ، وبحار الأنوار (٣٨٨/١٣) و(٢٤٣/٤٤) ، وكامل الزيارات ص

(٦٤) ، ووسائل الشيعة (٢٦٥/٣) ، وقصص الأنبياء للجزائري ص (٣١١) .

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٢٧/٤٤) .

قالت : لعين أهل السماوات والأرض يزيد ، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه ، وأمن على دعائه الإنس والجن ، فهبت الرياح وسار البساط^(١) .

ما ورد في زكريا عليه السلام

وروي في الإحتجاج عن سعد بن عبد الله ، قال : سألت القائم عليه السلام عن تأويل ﴿كهيعص﴾ قال عليه السلام : هذه الحروف من أنباء الغيب ، أطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصها على محمد ﷺ وذلك أن زكريا سأل الله ربّه أن يعلمه أسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلمه إياها ، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرّي عنه همّه وانجلى كربّه ، وإذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة .

فقال عليه السلام ذات يوم : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ، فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته ، فقال : كهيعص ، فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة الطاهرة ، والياء يزيد وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره .

فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، ومنع فيهن الناس من الدخول عليه ، وأقبل على البكاء والنحيب ، وكان يرثيه : إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده ! إلهي أتزل بلوى هذه الرزية بفنائيه ! إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة ! إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتها ! ثم كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر ، فإذا رزقتنيه فافتني

(١) راجع بحار الأنوار (٤٤/٢٤٤) .

بجبهه، ثم أفجعني به، كما تفجع محمداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك^(١).

ما ورد في عيسى عليه السلام

روي: أن عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمروا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدم عيسى إلى الأسد فقال له: لم جلست في هذا الطريق وقال لا تدعنا نمر فيه، فقال الأسد بلسان فصيح: إنني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام.

فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟

قال: هو سبط محمد النبي الأمي، وابن علي الولي.

قال: ومن قاتله؟

قال: قاتله لعين الوحوش والذباب والسباع أجمع، خصوصاً أيام عاشوراء، فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن الحواريون على دعائه، فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم^(٢).

وروي في أمالي الصدوق بالإسناد إلى ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين

(١) راجع الإحتجاج (٤٦٤/٢)، وبحار الأنوار (٢٢٤/٤٤) و(٨٣/٥٢)، إرشاد القلوب

(٢/٤٢١)، دلائل الإمامة ص (٢٧٩)، كمال الدين (٤٦١/٢)، مناقب ابن شهر آشوب

(٤/٨٤)، منتخب التواريخ ص (١٥٢)، ومعنى سري عنه همه: انكشف، والبهرة: تتابع

النفس، وزفر: أخرج نفسه بعد مده إياه.

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٤٤/٤٤)، وظني قوي بأن الذباب تصحيف، والصواب: "الذئب".

عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى بشط الفرات بكى طويلاً حتى سالت الدموع على صدره، وقال: والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق عليه السلام أنني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنها لفي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثم قال: يا ابن عباس اطلب في حولها بعير الظباء، فوالله ما كذبتُ ولا كُذبتُ، وهي مصفرة، لونها لون الزعفران.

قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة على الصفة التي وصفها، فقال علي عليه السلام: صدق الله ورسوله، ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمها وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعاد؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم، وذلك أنه مرّ بها ومعه الخواريون، فرأى هاهنا الظباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى وجلس الخواريون معه، فبكى وبكى الخواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى!!

فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟

قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟

قالوا: لا.

قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد عليه السلام وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أمي ويلحد، فيها طينة أطيب من المسك، لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلمني وتقول

إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران فشمها وقال: هذه بعر الظباء على هذه الطيب لمكان حشيشها، اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة^(١).

رواسب الديانات السماوية

خمسة قرون تفصل بين نبوة عيسى عليه السلام وبعثة نبينا ﷺ تقريباً، انمحق فيها جوهر الديانات ولم يبق إلا بعض رسومها، وتطرت أيدي التغيير إلى الكتب والأحكام فيها إلا قليلاً من تلك الحقائق التي غرسها الأنبياء عليهم السلام وأكدها، فقد ظلت عالقة في ذهنية أممهم، وتوارثوها بنحو من الإجمال.

وإن قضية مثل قضية الحسين عليه السلام تحوز عناصر الإلفات والخلود حرية بأن تسبقها أصداؤها، ولا بد أنهم كانوا يستعظمون نبأ قتل ولد نبي آخر الزمان الموعود ويستفزعون خطبه!! وإن بقاء أصداء شهادته إلى عهد قريب من المقتل مع اندثار كثير من الأحكام والتعاليم للدليل على عظم الحادثة!!

وربما نعر على أخبار نعتبرها من رواسب الديانة التصرائية دون اليهودية، فالمسيح عليه السلام هو أقرب الأنبياء إلى نبينا ﷺ زمنياً، وبالتالي فإن الفرصة في الاحتفاظ بالحقائق في الذاكرة تكون أكبر، مضافاً إلى تكتّم اليهود على العقائد

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق عليه السلام ص (٥٩٩)، وبحار الأنوار (٢٥٢/٤٤) و (٢٠١/٥٢)، والخرايج (١١٤٣/٣ و ١١٤٤)، كمال الدين (٥٣٢/٢)، وقد أورد مختصراً وسيأتي تمام الخبر.

والحقائق، فهي أمة تحبس الحق بإحكام حتى عدّ ذلك من سماتها، بيد أننا نجد في مطاوي كتبنا القيمة أصول تلك الحقائق، ولا بدّ أن يكون موسى عليه السلام قد أكد لليهود فضل البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وشرح لهم تفاصيل الحادثة.

فقد ورد في مجمع البحرين: في حديث مناجاة موسى عليه السلام وقد قال: يا ربّ لم فضلت أمة محمد ﷺ على سائر الأمم؟ فقال الله تعالى: فضلتهم لعشر خصال.

قال موسى: وما تلك الخصال التي يعملونها حتى أمر بني إسرائيل يعملونها. قال الله تعالى: الصّلاة، والزكاة، والصّوم، والحج، والجهاد، والجمعة والجماعة، والقرآن، والعلم، والعاشوراء. قال موسى: يا ربّ وما العاشوراء؟

قال: البكاء والتباكي على سبط محمد ﷺ والمرثية والعزاء على مصيبة ولد المصطفى، يا موسى ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزّى على ولد المصطفى إلاّ وكانت له الجنة ثابتاً فيها، وما من عبد أنفق من ماله في محبة ابن بنت نبيه طعاماً وغير ذلك درهماً أو ديناراً إلاّ وباركت له في دار الدنيا الدرهم بسبعين وكان معافاً في الجنة وغفرت له ذنوبه، وعزّتي وجلالي ما من رجل أو امرأة سال دمع عينيه في يوم عاشوراء وغيره قطرة واحدة إلاّ وكتب له أجر مائة شهيد^(١).

إلاّ أنّه لم يرد في التأريخ اليهودي من ذلك عين ولا أثر، ولم نعثر على واردة

(١) راجع مجمع البحرين للشيخ الطريحي رحمه الله (٤٠٥/٣).

أو شاردة في هذا المجال ، فقد تكتّموا على ما يختصّ بالنبي الخاتم ﷺ وجميع ما يتعلّق به إلاّ النزر اليسير ممّا سندرجه في كلمات كعب الأحبار ، إلاّ أنّه ظهرت رواسب الديانة النصرانية المتعلقة بكربلاء إلى عهد قريب من الإسلام ، وكان بعض كبار الأحبار يعربون عن علمهم بالوقعة ، مؤكّدين بذلك أصالة كربلاء في التراث النصراني وسائر الديانات.

وقد روي عن كعب الأحبار حين أسلم في أيام خلافة عمر بن الخطاب وجعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان ، فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحم والفتن التي تظهر في العالم ، ثم قال : وأعظمها فتنة وأشدّها مصيبة لا تُنسى إلى أبد الأبدين مصيبة الحسين عليه السلام وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد حيث قال : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ وإنما فتح الفساد بقتل هابيل بن آدم وختم بقتل الحسين عليه السلام ، أو لا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السماوات ويؤذن السماء بالبكاء فتبكي دماً ! فإذا رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت فاعلموا أن السماء تبكي حسيناً .
فقل : يا كعب ، لم لا تفعل السماء كذلك ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممن كان أفضل من الحسين ؟

فقال : ويحكم إن قتل الحسين أمر عظيم ، وإنه ابن سيد المرسلين ، وإنه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً ، ولا تحفظ فيه وصية جده رسول الله ﷺ وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه ، يذبح بعرضة كربلاء ، فو الذي نفس كعب بيده لتبكيه زمرة من الملائكة في السماوات السبع لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر ، وإن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع ، وما من نبيّ إلاّ ويأتي إليها

ويزورها ويبكي على مصابه ، ولكربلاء في كل يوم زيارة من الملائكة والجن والإنس ، فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك ليكون على الحسين ويذكرون فضله.

وإنه يسمى في السماء حسيناً المذبوح ، وفي الأرض أبا عبد الله المقتول ، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم ، وإنه يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار ، ومن الليل ينخسف القمر ، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام ، وتمطر السماء دماً ، وتدكدك الجبال وتغطمط البحار ، ولو لا بقية من ذريته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثأره لصب الله عليهم ناراً من السماء أحرقت الأرض ومن عليها.

ثم قال كعب : يا قوم ، كأنكم تتعجبون بما أحدثكم فيه من أمر الحسين عليه السلام ، وإن الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أول الدهر إلى آخره إلا وقد فسره لموسى عليه السلام ، وما من نسمة خلقت إلا وقد رفعت إلى آدم في عالم الدر وعرضت عليه ، ولقد عرضت عليه هذه الأمة ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا الدنية ، فقال آدم : يا رب ما لهذه الأمة الزكية وبلاء الدنيا وهم أفضل الأمم ؟ فقال له : يا آدم ، إنهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم ، وسيظهرون الفساد في الأرض كفساد قبايل حين قتل هابيل ، وإنهم يقتلون فرخ حبيبي محمد المصطفى ، ثم مثل لآدم عليه السلام مقتل الحسين ومصرعه ووثوب أمة جده عليه ، فنظر إليهم فرأهم مسوّدّة وجوههم ، فقال : يا رب ابسط عليهم الإنتقام كما قتلوا فرخ نبيك الكريم عليه السلام ^(١).

(١) راجع بحار الأنوار (٣١٥/٤٥). وروي في أمالي الصدوق ص (١٣١) بإسناده إلى سالم بن أبي

وفيه بإسناده إلى يحيى بن يمان عن إمام لبني سليم عن أشياخ لهم قالوا:
غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم، فوجدنا فيها مكتوباً:

أَيْرْجُو مَعْشَرٌ قَتَلُوا حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

قالوا: فسألنا منذ كم هذا في كنيستكم؟

قالوا: قبل أن يبعث نبيكم بثلاثمائة عام^(١).

وذكر في كتاب الياقوت أنّ عبد الله بن الصغار قال: غزونا غزاة وسبينا سبياً

وكان فيهم شيخ من عقلاء النصارى فأكرمناه وأحسنّا إليه فقال لنا: أخبرني أبي

→

جعده قال: سمعت كعب الأخبار يقول: إن في كتابنا أن رجلاً من ولد محمد رسول الله

ﷺ يُقتل، ولا يجفّ عرق دواب أصحابه حتى يدخلوا الجنة فيعانقوا الحور العين، فمرّ بنا

الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا؟ قال: لا، فمرّ بنا الحسين، فقلنا: هو هذا؟ قال: نعم.

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق رحمه الله ص (١٣١)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٢٤)، وبشارة المصطفى

ص (٢٠١).

وروي في مثير الأحزان ص (٩٦)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٢٤) بسند إلى سليمان الأعمش قال:

بيننا أنا في الطواف أيام الموسم إذا رجل يقول: اللهم اغفر لي، وأنا أعلم أنك لا تغفر، فسألته

عن السبب فقال: كنت أحد الأربعين الذين حملوا رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد على طريق

الشام، فنزلنا أول مرحلة رحلنا من كربلاء على دير للنصارى والرأس مركوز على رمح،

فوضعنا الطعام ونحن نأكل، إذا بكف على حائط الدير يكتب عليه بقلم حديد سطرا بدم:

أَيْرْجُو مَعْشَرٌ قَتَلُوا حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

فجزعنا جزعاً شديداً، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذه فغابت فعاد أصحابي.

وحدّث عبد الرحمن بن مسلم عن أبيه أنه قال: غزونا بلاد الروم فأتينا كنيسة من كنائسهم

قريبة من القسطنطينية وعليها شيء مكتوب، فسألنا أناساً من أهل الشام يقرؤون بالرومية فإذا

هو مكتوب هذا البيت.

عن آبائه أنهم حفروا في بلاد الروم حفراً قبل أن يبعث محمد العربي بثلاثمائة سنة، فأصابوا حجراً عليه مكتوب بالمسند هذا البيت:

أيرجو معشرٌ قتلوا حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

والمسند كلام أولاد شيث عليّ السلام^(١).

وبقيت أصداء خبر المقتل مجلجلة في تاريخ النصارى، وتردد خبره مع اسم النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على السنة كبار النصارى، وقد دون التأريخ بعض حالات قس بن ساعدة الأيادي، وهو خطيب جاهلي، يضرب به المثل في البلاغة والحكمة، والموعظة الحسنة، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكأ على سيف أو عصا في خطابه، ويقال أنه عمّر ستمئة سنة!! وكان يعرف النبي ﷺ باسمه ونسبه ويشير الناس بخروجه وينتظر ظهوره، وكان يقول لأهل الجاهلية: إن لله ديناً خيراً من الدين الذي أنتم عليه، وكان النبي ﷺ إذا ذكره ترحم عليه وقال: "يحشر يوم القيامة أمة وحده".

وكان يستعمل التقية ويأمر بها في خلال وعظه الناس، ومن أقواله: "البينة على المدعي، واليمين على من أنكر" وكان لا يستودع دينه أحداً، وكان يتكلم بما يخفى معناه على العوام، ولا يستدركه إلا للخواص.

ويروى إن قس بن ساعدة الأيادي تكلم بالنبوة الخاتمة قبل ولادة النبي ﷺ بعشر سنين في عرفات، ودعى به للإستسقاء.

فقد روي في مناقب آل أبي طالب: عن الجارود بن المنذر العبدي، وكان

(١) راجع مثير الأحزان ص (٩٧)، وبحار الأنوار (٢٢٥/٤٤).

نصرانياً فأسلم عام الحديبية وأنشد شعراً، يقول: يا نبي الهدى أتتك رجال. فقال رسول الله ﷺ: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟ فقال: الجارود: كلنا يا رسول الله نعرفه، غير أنني من بينهم عارف بخبره واقف على أثره.

فقال سلمان: أخبرنا.

فقال: يا رسول الله، لقد شهدت قساً وقد خرج من ناد من أندية أياد، إلى ضحضح ذي قتاد، وسمر وغياذ، وهو مشتمل بنجاد، فوقف في إضحيان ليل كالشمس، رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه، فدنوت منه فسمعتة يقول: "اللهم ربّ السماوات الأرفعة، والأرضين المرعة بحق محمد والثلاثة المحاميد معه، والعليين الأربعة وفاطم والحسنين المسمعة، وجعفر وموسى التبعة، سمي الكليم الضرعة، أولئك النقباء الشفعة، والطريق المهية، درسة الأناجيل، ومحاة الأضاليل، ونفاة الأباطيل، الصادقي القيل، عدد نقباء بني إسرائيل، فهم أول البداية، وهم نهاية النهاية، وعليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة، ولهم من الله فرض الطاعة. إسقنا غيثاً مغيثاً".

ثم قال: ليتني مدرّكهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي، ثم أنشأ يقول:

أقسَمَ قَسٌ قَسَمًا	لَيْسَ لَهُ مُكْتَمًا
لَوْ عَاشَ أَلْفِي سَنَةً	لَمْ يَلِقَ مِنْهَا سَأَمًا
حَتَّى يُلَاقِيَ أَحْمَدًا	وَالنُّقَبَاءَ الحُكَمَا
هُمُ أَصْفِيَاءُ أَحْمَدٍ	أَفْضَلُ مَنْ تَحْتَ السَّمَا
تَعْمَى العَيُونَُ عَنْهُمْ	وَهُمُ ضِيَاءُ اللَّعْمَى

لستُ بناسٍ ذكّرهم حتى أحلّ الرّجم^(١)

(١) راجع مناقب ابن شهر آشوب (١/٢٨٧)، عنه البحار (٤٣/٣٨). وقد روت كتب الحديث والتراجم الشيء الكثير عن فضله وأورت أخباره مفصّلة، فراجع على سبيل المثال: كمال الدين (١/١٦٦-١٦٩)، وكنز الفوائد (٢/١٣٤-١٣٩)، وبحار الأنوار (١٨/٢٩٣)، والمنجد، قسم الأعلام، (٤١٦) ط سنة ١٩٥٦ م، وبلغ من حكمته ومعرفته أن النبي ﷺ كان يسأل من يقدم عليه من أياد عن حكمه، ويصغي إليه سمعه: فعن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم ببناء الكعبة يوم افتتح مكة، إذ أقبل إليه وفد فسلموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ القوم؟ قالوا: وفد بكر بن وائل. قال: فهل عندكم علم من خبر قس بن ساعدة الأيادي؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فما فعل؟ قالوا: مات. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله رب الموت ورب الحياة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ كأني أنظر إلى قس بن ساعدة الأيادي وهو بسوق عكاظ على جمل له أحمر، وهو يخطب الناس ويقول: "اجتمعوا أيها الناس، فإذا اجتمعتم فأنصتوا، فإذا أنصتتم فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا، فإذا وعيتم فاحفظوا، فإذا حفظتم فاصدقوا، ألا أنه من عاش مات، ومن مات فات، ومن فات فليس بأت؛ إن في السماء خبراً، وفي الأرض عبراً، سقف مرفوع، ومهاد موضوع، ونجوم تمور، وليل يدور، وبحار ماء لا تغور.

يخلف قس ما هذا بلعب، وإن من وراء هذا لعجبا، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟. يخلف قس يميناً غير كاذبه أن الله ديناً هو خير من الدين الذي أنتم عليه."

ثم قال رسول الله ﷺ: "رحم الله قساً، يحشر يوم القيامة أمة وحده"، قال ﷺ: هل فيكم أحد يحسن من شعره شيئاً؟ فقال بعضهم: سمعته يقول:

في الأولين الـذاهبين	من القرون لنا بصائر
لمأ رأيتُ موارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها	تمضي الأكابُر والأصاغر

وتكلم قس رحمته كذلك في بعض الأحداث المهمة التي كانت بعد وفاة الرسول ﷺ، وذكر الوقائع الحاسمة في تاريخ الإمامة، كصفين والجمل.. ويوم الإمام الحسين عليه السلام!! ففي مناقب ابن شهر آشوب، قال سعد بن أبي وقاص: أن قس بن ساعده الأيادي قال قبل مبعث النبي ﷺ:

تَخَلَّفَ الْمَقْدَارَ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ ثَارُوا بِصَفِّينَ وَفِي يَوْمِ الْجَمَلِ
والتزم الثَّارَ الْحُسَيْنُ بَعْدَهُ واحتشدوا على ابنه حتى قُتِلَ^(١)

وتلاحظ أنه استخدم لفظي الثَّار والقتل في التعبير عن مجمل حادثة الإمام الحسين عليه السلام، وهي مفردات تلخص الحدث بأبعاده الخاصة في الفكر الشيعي، فقد قُتِلَ حتى لزم الأخذ بثأره من بعده على يد الإمام المهدي عليه السلام من ولده، والبيتان دالان على أن حادثة الطَّف كانت متداولة معهودة قبل وقوعها بعهد طويل، وكان يحكي الخواص تفاصيلها للعامة، كتعبير عن أصداء الحادثة التي سبقت وقوعها، وفي كتب التاريخ شواهد على ذلك.

→
لا يرجعُ الماضي إليَّ ولا ممن الباقين غابر
أيقنتُ أنني لا مـحـا لـة حيثُ صارَ القومُ صائر

(١) راجع مناقب ابن شهر آشوب (٦٢/٤)، وعنه بحار الأنوار (٢٤٠/٤٤)، ومعنى تخلف المقدار: جازوا قدرهم وتعدوا طورهم، أو كثروا حتى لا يحيط بهم مقدار وعدد، وقوله ثاروا: من الثوران أو من الثَّار، من قولهم ثارت القتيل أي قتلت قاتله، فإنهم كانوا يدعون طلب دم عثمان ومن قتل منهم في غزوات الرسول ﷺ، ويؤيده قوله: والتزم الثَّار أي طلبوا الثَّار بعد ذلك من الحسين عليه السلام لأجل من قتل منهم في الجمل وصفين وغير ذلك، أو المعنى أنهم قتلوه حتى لزم ثأره.

ولم يكن يوحى لقسّ الأيادي ، وربما يكون قد وجد ذلك مكتوباً في كتب خاصة قد ورثها عن ثقاته ، أو أنه نقله عن صادقين متّصلاً بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وقد مرّ بنا خبره في هذا المجال.

مقتل الحسين في القرآن

لقد أثرت واقعة كربلاء على المكونات بما فيها الأرض والسّماء ، وما يُرى وما لا يُرى ، وتردّدت أصدائها في عوالم الإمكان ، ولما أن طبّقت أصدائها كتاب التكوين فقد طفح بذكرها كتاب التدوين ، وكانت حاضرة بتفاصيلها في طوايا القرآن الكريم.

والمتدبّر الحزين يجد آهاتها في كلّ زاوية من المصحف ، بل وفي أول كلمة نزلت على صدر نبيّنا الأعظم عليه السلام : ﴿اقْرَأْ﴾ ، ولم يتوانى النبي عليه السلام في قراءة فضائل الحسين عليه السلام وخبر مصرعه ، كما أنّ خبر المقتل حاضرٌ في آيات الفضائل والأحكام والعبر والقصص لمن تأمل وتدبّر.

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام الشّيء الكثير في خصوص تحديد الآيات المأولة بشهادته عليه السلام والتي سلّطت النور على جانب المأساة والحادثة ، ومن أهمّها.

❖ وجوب القتال معه :

روي في تفسير العياشي بسنده إلى إدريس مولى عبد الله بن جعفر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا

أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿١﴾: إلى خروج القائم عليه السلام في النصر والظفر، قال الله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (١).

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال: نزلت في الحسن بن علي عليه السلام أمره الله بالكف، قلت: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ قال: نزلت في الحسين بن علي، كتب الله عليه وعلى أهل الأرض أن يقاتلوا معه (٢).

وفي نوادر علي بن أسباط عن الحسن بن زياد العطار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال: نزلت في الحسن بن علي عليه السلام، أمره الله بالكف.

قلت: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ قال: نزلت في الحسين بن علي عليه السلام

(١) راجع تفسير العياشي (٢٥٧/١)، وبحار الأنوار (٢١٧/٤٤). وفي تفسير العياشي أيضاً (٢٥٨/١) و(٢٣٥/٢)، وبحار الأنوار (٢٥/٤٤ و ٢١٧) و(١٣٢/٥٢)، والكافي (٣٣٠/٨) بسنده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله الذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ إنما هي طاعة الإمام، فطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ﴾ مع الحسين ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام.

وفيه أيضاً (٢٥٨/١)، وبحار الأنوار (٢١٧/٤٤): عن الحلبي عنه عليه السلام: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ قال: يعني ألسنتكم.

(٢) راجع تفسير العياشي (٢٥٨/١)، وبحار الأنوار (٢١٧/٤٤ و ٢٢٠).

كتب الله عليه وعلى أهل الأرض أن يقاتلوا معه^(١).

❖ النفس المحرمة والمقتول ظلماً:

في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾

رُوي في تفسير العياشي بسنده إلى المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: قتل النفس التي حرم الله فقد قتلوا الحسين عليه السلام في أهل بيته.

وفيه بسنده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في الحسين:

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قاتل الحسين ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ قال: الحسين عليه السلام^(٢).

وفيه بسنده إلى سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ قال: هو الحسين بن علي عليه السلام، قتل مظلوماً ونحن أولياؤه، والقائم منا، إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيقتل حتى يقال قد أسرف في القتل، وقال: المقتول الحسين، ووليّه القائم، والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^(٣).

(١) راجع بحار الأنوار (٢٢٠/٤٤). وفيه: قال علي بن أسباط ورواه بعض أصحابنا عن أبي جعفر

عليه السلام وقال: لو قاتل معه أهل الأرض كلهم لقتلوا كلهم.

(٢) راجع تفسير العياشي (٢٩٠/٢)، وبحار الأنوار (٢١٨/٤٤).

(٣) راجع تفسير العياشي (٢٩٠/٢)، وبحار الأنوار (٢١٨/٤٤).

وفي الكافي بسنده إلى الحجاج عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قال: نزلت في الحسين عليه السلام لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً^(١).

وفي كامل الزيارات بسنده إلى محمد بن سنان عن رجل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قال: ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين بن علي، فلو قتل أهل الأرض لم يكن سرفاً، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين بفعال آباتها^(٢).

وفي تفسير العياشي عن الحسن بن يحيى الهروي يرفعه عن أحدهما عليه السلام في قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: إلا على ذرية قتلة الحسين عليه السلام^(٣).

❖ النفس المطمئنة:

سَمَّى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ فِي سُورَةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ سَمَّى الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُورَةَ الْفَجْرِ سُورَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِذْ رُوِيَ فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي بِسِنْدِهِ إِلَى ابْنِ الْبَطَّائِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً

(١) راجع الكافي (٢٥٥/٨)، وبحار الأنوار (٢١٩/٤٤).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٦٣)، وبحار الأنوار (٢٩٨/٤٥).

(٣) راجع تفسير العياشي (٨٦/١)، وبحار الأنوار (٢٩٨/٤٥)، ووسائل الشيعة (١٤٢/١٦).

مَرْضِيَّةٌ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿ يعني الحسين بن علي عليه السلام ^(١) .

وفي كنز جامع الفوائد بسنده إلى دارم بن فرقد أن أبا عبد الله عليه السلام قال :
إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم ، فإنها سورة الحسين بن علي عليه السلام
وارغبوا فيها رحمكم الله تعالى .

فقال له أبو أسامة وكان حاضر المجلس : وكيف صارت هذه السورة للحسين

عليه السلام خاصة ؟

فقال : أ لا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى

رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ إنما يعني الحسين بن

علي عليه السلام فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وأصحابه من آل محمد عليهم السلام

هم الراضون عن الله يوم القيامة ، وهو راض عنهم ، وهذه السورة في الحسين بن

علي عليه السلام وشيعته وشيعة آل محمد خاصة ، من أدمن قراءة ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ كان مع

الحسين بن علي عليه السلام في درجته في الجنة ، إن الله عزيز حكيم ^(٢) .

❖ إخراج من داره :

روي في تفسير فرات بسنده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ قال : نزل في علي

وجعفر وحمزة وجرت في الحسين بن علي عليه السلام ^(٣) .

(١) راجع تفسير القمّي (٤٢٢/٢) ، وبحار الأنوار (٣٥٠/٢٤) و (٢١٩/٤٤) .

(٢) راجع بحار الأنوار (٣٩/٢٤) و (٢١٨/٤٤) ، وتأويل الآيات ص (٧٦٩) .

(٣) راجع تفسير فرات ص (٢٧٣) ، وتجد الخبر وأشباهه في كثير من المصادر المعتمدة ، منها : بحار

الأنوار (٢٢٣/٢٤ و ٢٢٧) و (١٤٦/٣٦) و (٢١٩/٤٤) ، وتأويل الآيات ص (٣٣٥) ،

❖ سقم إبراهيم عليه السلام حزناً عليه :

روي الشيخ الكليني في الكافي بسنده إلى علي بن محمد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: حسب، فرأى ما يحل بالحسين عليه السلام فقال: إني سقيم لما يحل بالحسين عليه السلام ^(١).

❖ المؤودة من غير ذنب :

روي ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده إلى ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ قال: نزلت في الحسين بن علي عليه السلام ^(٢).

❖ نصر الله للحسين عليه السلام :

روي في كامل الزيارات عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: تلى هذه الآية ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ قال: الحسين بن علي عليه السلام منهم، ولم ينصر بعد، ثم قال: والله لقد قتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد ^(٣).

أصداء المقتل في السيرة النبوية

أوردنا في كتابنا "الدمعة الساكبة" المآثم التي عقدها النبي ﷺ على ولده

→ وشواهد التنزيل (١/٥٢١)، والكافي (٨/٣٣٧).

(١) راجع الكافي (١/٤٦٥)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٢٠).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٦٣)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٢٠).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (٦٣)، وبحار الأنوار (٤٥/٢٩٨).

الحسين عليه السلام قبل شهادته ، و حاولنا أن نتقصّى أكثر الروايات الواردة في كتب أهل السنة ، وسنورد هنا بعض الأخبار الواردة في كتبنا المعتبرة مروية عن أهل البيت عليهم السلام ، فهم أدرى بالبيت وما فيه .

ويمكن لنا القول أنّ الله سبحانه قد شيّد خبر مقتل الحسين عليه السلام وأكّده بشكل متكرّر ، حتى صارت قضية محتومة لا يتطرق إليها المحو والإثبات ، ونصوص الأخبار تقتضي تكرار نزول جبرئيل عليه السلام بخبر مقتله بتعدّد ظروف الحوادث .

وطبيعي أن تتزايد أصداء المقتل الحسيني في عهد الدّعوة النبويّة وتطفح بها سيرته الطّيبة ، لاتصال النبوة بالإمامة ، ولكون مقتله يقوِّض بأسس مشروع النبوة الدّيني الذي بذل له النبي صلى الله عليه وآله الغالي والنّفيس .. ولقرب زمان النبوة من زمن الحدث المفجع .

فروى الشيخ الطّوسي بسنده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : بينا الحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أتاه جبرئيل فقال : يا محمد ، أتجبه ؟
قال : نعم .

قال : أما إن أمتك ستقتله ، فحزن رسول الله لذلك حزناً شديداً ، فقال جبرئيل : أيسرّك أن أريك التربة التي يُقتل فيها ؟
قال : نعم .

قال : فخسف جبرئيل ما بين مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كربلاء حتى التقت القطعتان هكذا - وجمع بين السبابتين - فتناول بجناحيه من التربة فناولها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم دحيت الأرض أسرع من طرف العين .

فقال رسول الله: طوبى لك من تربة وطوبى لمن يقتل فيك^(١).

وفي كامل الزيارات بسنده إلى محمد بن سنان عن سعيد بن يسار أو غيره قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما أن هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ بقتل الحسين عليه السلام أخذ بيد علي فخلى به ملياً من النهار فغلبتهما عبرة، فلم يتفرقا حتى هبط عليهما جبرئيل - أو قال رسول رب العالمين - فقال لهما: ربكما يقرئكما السلام ويقول: قد عزمت عليكم ما صبرتما، قال: فصبرا^(٢).

وقد يكون نزول جبرئيل عليه السلام وهو صاحب الوحي بخبر مقتل الحسين عليه السلام مفهوماً، فجبريل هو طريق النبي ﷺ إلى أخبار الغيب وأنباء السموات، إلا أن نزول عدة أخرى من الملائكة على النبي ﷺ يحملون إليه أنباء مقتل ولده عليه السلام أمر يدعو إلى التأمل، فإن منهم من هبط إلى الأرض مجرد التشرف وإلقاء التحية عليه ﷺ فحملهم الجليل خبر المقتل إليه!! وإن هذا كاشف عن عظم المصيبة في السماوات على جميع أهل السماوات، ويعبر عن أصداء المقتل في العالم الآخر!! ففي أمالي الشيخ الطوسي بسنده إلى أنس بن مالك: أن عظيماً من عظماء الملائكة استأذن ربه عز وجل في زيارة النبي ﷺ فأذن له، فبينما هو عنده إذ دخل

(١) راجع أمالي الطوسي ص (٣١٤)، وبحار الأنوار (٢٢٨/٤٤)، بشارة المصطفى ص (٢١٤).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٥٥)، وبحار الأنوار (٢٣١/٤٤). وروي في كامل الزيارات ص

(٦١)، وبحار الأنوار (٢٣٧/٤٤) عن ابن عباس أنه قال: الملك الذي جاء إلى محمد ﷺ

يخبره بقتل الحسين كان جبرئيل الروح الأمين منشور الأجنحة باكياً صارخاً، قد حمل من

تربيته، وهو يفوح كالمسك، فقال رسول الله ﷺ: وتفلح أمة تقتل فرخي - أو قال فرخ ابنتي

- قال جبرئيل: يضربها الله بالإختلاف فيختلف قلوبهم.

عليه الحسين عليه السلام فقبله النبي ﷺ وأجلسه في حجره، فقال له الملك: أ تحبه ؟
قال: أجل، أشد الحب، إنه ابني.

قال له إن أمتك ستقتله.

قال: أمتي تقتل ولدي !!

قال: نعم، وإن شئت أريتك من التربة التي يقتل عليها.

قال: نعم، فأراه تربة حمراء طيبة الريح، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً

عبيطاً فهو علامة قتل ابنك هذا، وقيل أن الملك كان ميكائيل عليه السلام ^(١).

وروى الشيخ الصدوق بسنده إلى أنس: أن ملك المطر استأذن أن يأتي رسول

الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد،

فجاء الحسين عليه السلام ليدخل، فمنعته فوثب حتى دخل، فجعل يثب على منكبي

رسول الله ﷺ ويقعد عليهما.

فقال له الملك: أ تحبه ؟

قال: نعم.

قال: فإن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه فمدّ يده،

فإذا طينة حمراء، فأخذتها أم سلمة فصيرتها إلى طرف خمارها، قال ثابت فبلغنا

أنه المكان الذي قتل به بكر بلاء ^(٢).

وروي: أن ملكاً من ملائكة الصّفيح الأعلى اشتاق لرؤية النبي ﷺ

(١) راجع أمالي الطوسي ص (٣١٤)، وبحار الأنوار (٢٢٨/٤٤).

(٢) راجع أمالي الطوسي ص (٣٢٩)، وبحار الأنوار (١٢٤/١٨) و (٢٣١/٤٤)، وأعلام

الورى ص (٣٣).

واستأذن ربه بالنزول إلى الأرض لزيارته ، وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً منذ خلقت ، فلما أراد النزول أوحى الله تعالى إليه يقول : أيها الملك ، أخبر محمداً أن رجلاً من أمته اسمه يزيد يقتل فرخه الطاهر بن الطاهرة نظيرة البتول مريم بنت عمران ، فقال الملك : لقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيك محمد ، فكيف أخبره بهذا الخبر الفضيح !! وإنني لأستحيي منه أن أفجعه بقتل ولده ، فليتني لم أنزل إلى الأرض .

قال : فنودي الملك من فوق رأسه : أن افعل ما أمرت به .

فدخل الملك إلى رسول الله ﷺ ونشر أجنحته بين يديه ، وقال : يا رسول الله ، أعلم أنني استأذنت ربي في النزول إلى الأرض شوقاً لرؤيتك وزيارتك ، فليت ربي كان حطّم أجنحتي ولم آتك بهذا الخبر ، ولكن لا بد من إنفاذ أمر ربي عز وجل ، أعلم يا محمد أن رجلاً من أمتك اسمه يزيد زاده الله لعناً في الدنيا وعذاباً في الآخرة يقتل فرخك الطاهر بن الطاهرة ، ولم يتمتع قاتله في الدنيا من بعده إلا قليلاً ، ويأخذه الله مقاصباً له على سوء عمله ، ويكون مخلداً في النار .

فبكى النبي ﷺ بكاءً شديداً وقال : أيها الملك ، هل تفلح أمة بقتل ولدي وفرخ ابنتي !!

فقال : لا يا محمد ، بل يرميهم الله باختلاف قلوبهم وألستهم في دار الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب أليم^(١) .

ويُعلم من الأخبار علم النبي ﷺ بأشكال المصائب التي سيلاقيها الحسين

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/٣١٤) .

عليه السلام يوم عاشوراء، وفي الأخبار عرضٌ لتلك الصور التي تلقاها ﷺ من الوحي وكانت من دلائل صدق نبوته فعلاً، وفيها تأكيد حتمي على وقوع الحادثة وتفعيل لأصدائها المفجعة، وكان ذلك مطبوعاً على سيرته ﷺ الطيبة.

ففي كامل الزيارات بسنده إلى عبد الله بن محمد الصنعاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: امسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي، فيقول: يا أبة لم تبكي؟ فيقول: يا بني، أقبل موضع السيوف منك وأبكي.

قال: يا أبة، وأقتل؟

قال: إي والله، وأبوك وأخوك وأنت.

قال: يا أبة، فمصارعنا شتى؟

قال: نعم يا بني.

قال: فمن يزورنا من أمتك؟

قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي^(١).

وكان قد سبق العلم إلى النبي ﷺ وحيماً بتلك الشجرة الخبيثة التي ستمر البغي على أهل بيته عليه السلام، إذ أوحى إليه ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ وروى المفسرون في أسباب نزولها أنه ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك، وروى العامة

(١) راجع كامل الزيارات ص (٧٠)، وبحار الأنوار (٢٦١/٤٤) و (١١٩/٩٧).

عن سهل بن سعد أنه قال: إنما هذه الرؤيا هي أن رسول الله ﷺ كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك، وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات ﷺ فنزلت الآية مخبرة أن ذلك من تملّكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً.

ولم يرق هذا القول للقرطبي فاستبعده في تفسيره، ووجه استبعاده هو أنه ما كان له بمكة منبر!! ثم استدرك قائلاً: ولكنه يجوز أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة!! وفات شيخ المفسرين أنّها رؤيا!! فإن لم يكن له في مكة منبر صار المعبر إلى تأويل ذلك، ومعلوم أنّ المنبر يعني محلّ سلطته ﷺ ويرمز لموضع أمره ونهيه، وهذا شائع في الإستعمال، فيعبّر عن أيّ قناة إعلامية بالمنبر.

وأورد القرطبي بعد ذلك قول مولانا الحسن الزكي عليه السلام لمعاوية في خطبة الصلح: " وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .. لكن تفسير الإمام عليه السلام لم يرق للقرطبي أيضاً لأنه يمسّ الكثيرين ممن يحب!! فقال: قال ابن عطية: " وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية " وهذا بيت القصيد!!

وأورد جمهور المفسرين خبر هذه الرؤيا مقترنة بالآية الشريفة، وعليه فإنّ الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، وعرف ﷺ أنّهم يتسنّمون منصبه وينزون على منبره كما عرف جرائرهم وجرائمهم، وتأكد لديه تشخيص قتلة ولده عليه السلام^(١).

(١) وروي في مناقب ابن شهر آشوب ص (٢٦٣)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٦٤): عن ابن عباس أنّه

ويقطع المتتبع بشخص المقتل الحسيني في كلّ نواحي السيرة النبويّة وحضوره في حلّوها ومُرّها، ولهذا فإنّه أصبحت أصداءه حالة في كثير من أخبار السيرة والفضائل والمناقب، فهي المأساة المرتبطة بكلّ أبعاد حياته عليه السلام الدنيّة والشخصيّة.

ففي كامل الزيارات بسنده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدمنا منه فأكل ثم قام إلى زاوية البيت فصلّى ركعات، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحد منّا إجلالاً وإعظاماً له، فقام الحسين عليه السلام في

→ سألت هند - أم معاوية - عائشة أن تسأل النبي صلى الله عليه وآله تعبير رؤيا، فقال صلى الله عليه وآله: قولني لها فلتقصص رؤياها، فقالت: رأيت كأن الشمس قد طلعت من فوقي، والقمر قد خرج من مخرجي، وكأنّ كوكبا خرج من القمر أسود فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس، فابتلعها فاسود الأفق لابتلاعها، ثم رأيت كواكب بدت من السماء، وكواكب مسوذة في الأرض، إلا إن المسوذة أحاطت بأفق الأرض من كل مكان، فاكتحلت عين رسول الله صلى الله عليه وآله بدموعه ثم قال: هي هند، أخرجني يا عدوّة الله مرتين، فقد جددت عليّ أحزاني، ونعيت إليّ أحبائي.

فلما خرجت قال: اللهم العنّها والعن نسلها!! فسئل عن تفسيرها فقال عليه السلام: أما الشمس التي طلعت عليها فعلي بن أبي طالب عليه السلام، والكوكب الذي خرج كالقمر أسود فهو معاوية، مفتون فاسق جاحد لله وتلك الظلمة التي زعمت، ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود، فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودت، فذلك ابني الحسين عليه السلام يقتله ابن معاوية، فتسود الشمس ويظلم الأفق، وأما الكواكب السّود في الأرض أحاطت بالأرض من كل مكان فتلك بنو أمية.

حجره وقال له : يا أبة ، لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك ، ثم بكيت بكاءً غمّنا ، فما أبكاك ؟

فقال : يا بني ، أتاني جبرئيل عليه السلام أنفا فأخبرني أنكم قتلى ، وأن مصارعكم شتى ، فقال : يا أبة ، فما لمن يزور قبورنا على تشيتها ؟

فقال : يا بني ، أولئك طوائف من أمّتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة ، وحقيقٌ عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم ويسكنهم الله الجنة^(١) .

وفيه عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة والحسين في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ، ثم قال : يا فاطمة يا بنت محمد ، إن العليّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا ساعتى هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة ، وقال لي : يا محمد ، أتحب الحسين ؟

فقلت : نعم ، قرّة عيني وريحانتي وثمرّة فؤادي وجلدة ما بين عيني .

فقال لي : يا محمد - ووضع يده على رأس الحسين - بورك من مولود ، عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ، ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه ، أما إنه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة وسيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين ، وأبوه أفضل منه وخير ، فأقرأه السلام وبشره بأنه راية الهدى ومنار أوليائي وحفيظي وشهيدي على خلقي وخازن علمي ، وحجّتي على أهل السماوات وأهل

(١) راجع كامل الزيارات ص (٥٧) ، وبحار الأنوار (٢٣٤/٤٤) و (١١٨/٩٧) .

الأرضين والثقلين الجن والإنس^(١).

وفي تفسير فرات بإسناده إلى حذيفة أن النبي ﷺ قال: لما أسري بي أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنة وأنا مسرور، فإذا أنا بشجرة من نور مكللة بالنور، في أصلها ملكان يطويان الحلي والحلل إلى يوم القيامة، ثم تقدّمت أمامي فإذا أنا بتفّاح لم أرتفّاحاً هو أعظم منه، فأخذت واحدة ففلقتها فخرجت عليّ منها حوراء كأنّ أجفانها مقادير أجنحة النّسور، فقلت: لمن أنت؟

فبكت وقالت: لابنك المقتول ظلماً، الحسين بن علي بن أبي طالب.

ثم تقدّمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها وأنا أشتهيها، فتحوّلت الرطبة نطفة في صلبني، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة^(٢).

وروي: أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطريق، وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق، فجلس النبي ﷺ عند صبيّ منهم وجعل يقبل ما بين عينيه ويلطفه، ثم أقعده على حجره وكان يكثر تقبيله، فسئل عن علة ذلك فقال ﷺ: إني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين عليه السلام، ورأيت يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه، فأنا أحبه لحبه لولدي الحسين عليه السلام، ولقد أخبرني جبرئيل أنه يكون من أنصاره

(١) راجع كامل الزيارات ص (٦٧)، وبحار الأنوار (٢٣٨/٤٤).

(٢) راجع تفسير فرات ص (٧٥)، وبحار الأنوار (١٩٠/٨) و (٢٩٨/٤٣) و (٢٤٠/٤٤)، ومناقب ابن شهر آشوب (٧٥/٤).

في وقعة كربلاء^(١).

وروي: أن الحسن والحسين عليهما السلام دخلا يوم عيد إلى حجرة جدّهما رسول الله ﷺ فقالا: يا جداه، اليوم يوم العيد، وقد تزين أولاد العرب بألوان اللباس ولبسوا جديد الثياب، وليس لنا ثوب جديد، وقد توجهنا لذلك إليك، فتأمل النبي حالهما وبكى ولم يكن عنده في البيت ثياب يليق بهما، ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما، فدعا ربه وقال: إلهي اجبر قلبهما وقلب أمهما.

فنزل جبرئيل ومعه حلتان بيضاوان من حلال الجنة، فسر النبي ﷺ وقال لهما: يا سيدي شباب أهل الجنة، خذا أثواباً خاطها خياط القدرة على قدر طولكما، فلما رأيا الخلع بيضاً قالوا: يا جداه كيف هذا وجميع صبيان العرب لا بسون ألوان الثياب!! فأطرق النبي ﷺ ساعة متفكراً في أمرهما.

فقال جبرئيل: يا محمد، طب نفساً وقر عيناً، إن صابغ صبغة الله عز وجل يقضي لهما هذا الأمر ويفرح قلوبهما بأي لون شاء، فأمر يا محمد بإحضار الطست والإبريق فأحضرا، فقال جبرئيل: يا رسول الله، أنا أصب الماء على هذه الخلع وأنت تفركهما بيدك فتصبغ لهما بأي لون شاء، فوضع النبي حلة الحسن في الطست، فأخذ جبرئيل يصب الماء.

ثم أقبل النبي على الحسن وقال له: يا قرّة عيني، بأي لون تريد حلتك؟

فقال: أريدها خضراء، ففركها النبي بيده في ذلك الماء، فأخذت بقدرة الله لونا أخضر فاتقاً كالزبرجد الأخضر، فأخرجها النبي وأعطاهما الحسن، فلبسها،

(١) راجع بحار الأنوار (٤٤/٢٤٢).

ثم وضع حلة الحسين في الطست ، وأخذ جبرئيل يصب الماء ، فالتفت النبي إلى نحو الحسين وكان له من العمر خمس سنين وقال له : يا قرّة عيني ، أي لون تريد حلتك ؟

فقال الحسين عليه السلام : يا جد ، أريدها حمراء ، ففركها النبي صلى الله عليه وآله بيده في ذلك الماء فصارت حمراء كالياقوت الأحمر ، فلبسها الحسين ، فسّر النبي صلى الله عليه وآله بذلك وتوجّه الحسن والحسين إلى أمهما فرحين مسرورين ، فبكى جبرئيل عليه السلام لما شاهد تلك الحال ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا أخي جبرئيل ، في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن ، فبالله عليك إلا ما أخبرتني !! فقال جبرئيل عليه السلام : اعلم يا رسول الله أن اختيار ابنك على اختلاف اللون فلا بد للحسن أن يسقوه السم ويخضر لون جسده من عظم السم ، ولا بد للحسين عليه السلام أن يقتلوه ويذبحوه ويخضب بدنه من دمه ، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وزاد حزنه لذلك ^(١).

وفي أمالي الصدوق عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن منزلي ويمسك قضيباً غرسه ربّي عز وجل ثم قال له كن فكان فليتولّ علي بن أبي طالب وليأتم بالأوصياء من ولده ، فإنهم عترتي خلّقوا من طينتي ، إلى الله أشكو أعداءهم من أمّتي ، المنكرين لفضلهم ، القاطعين فيهم صلتي ، وأيم الله ليقتلن ابني بعدي الحسين ، لا أنا لهم الله شفاعتي ^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤٥/٤٤).

(٢) راجع أمالي الصدوق ص (٣٦) ، وبحار الأنوار (١٣٨/٢٣) و (٢٢٧/٣٦) و (٢٤٧) ، وبشارة المصطفى ص (١٩١) ، وبصائر الدرجات ص (٤٩ و ٥٢) ،

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: رأيت النبي ﷺ يمصّ لعاب الحسين عليه السلام كما يمصّ الرجل السكره، وهو يقول: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، وأبغض الله من أبغض حسيناً، حسين سبط من الأسباط، لعن الله قاتله.

فنزّل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد، إن الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً من المنافقين، وسيقتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً من المعتدين، وإن قاتل الحسين في تابوت من نار، ويكون عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّت يده ورجلاه بسلاسل من نار، وهو منكس على أم رأسه في قعر جهنم، وله ريح يتعوّذ أهل النار من شدة ننتها، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم لا يفتر عنه، ويسقى من حميم جهنم^(١).

وظلّت أصداء المقتل الحسيني حاضرة في ذاكرة النبي ﷺ إلى آخر لحظات حياته، لعلمه بكونها اللحظة التي ينطلق منها الحقد الدفين ليوسع أهل بيته عليه السلام ظلماً وهضماً، وهي لحظةٌ جديرة بتجدد الحزن على ولده الحسين عليه السلام.

ففي مثير الأحران عن ابن عباس قال: لما اشتد برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه ضم الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: مالي وليزيد!! لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد، ثم غشي عليه طويلاً، وأفاق وجعل يقبل الحسين عليه السلام وعيناه تذرفان ويقول: أما إن لي

→ وروضة الواعظين (١/١٠١).

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/٣١٤).

ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل^(١).

وكان ينفث النبي ﷺ همّ صدره بين أصحابه، ويستثمر الفرص المتاحة لنعي ولده عليّ السلام وإظهار الحزن عليه، وكان لأهله النصيب الأوفر من نفثات حزنه، فروت بعض أهله من أمّهات المؤمنين ﷺ أخباراً عدّة في ظروف مختلفة كذلك.. وقد دوّت من بينها أخبار وردت عن أمّ سلمة^(٢).

(١) راجع مثير الأحزان ص (٢٢)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٦٦).

(٢) وقد وردت أخبار عديدة عن بعض أهله ﷺ أمّا ما ورد عن أمّ الفضل. ففي الإرشاد (١٢٩/٢)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٣٩)، وإعلام الوري ص (٢١٨)، وكشف الغمة (٧/٢) بالإسناد إلى أمّ الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله رأيت الليلة حلماً منكراً. قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد!! قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدي قد قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة عليّاً الحسين عليهما السلام.

قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله، فدخلت به يوماً على النبي فوضعت في حجر رسول الله ﷺ ثم حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهرقان بالدموع. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل، فأخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا، وأتاني بترية حمراء من تربته.

وأما ما ورد عن زينب بنت جحش. ففي أمالي الطوسي ص (٣١٦)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٢٩) بسند إلى زيد مولى زينب بنت جحش أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم عندي نائماً فجاء الحسين عليهما السلام، فجعلت أعلله مخافة أن يوقظ النبي ﷺ، فغفلت عنه، فدخل واتبعتة فوجدته وقد قعد على بطن النبي ﷺ، فوضع زيبته في سرّة النبي فجعل يبول عليه، فأردت أن أخذه عنه فقال رسول الله ﷺ: دعي ابني يا زينب حتى يفرغ من بوله. فلما فرغ توضأ النبي ﷺ وقام يصلي، فلما سجد ارتحله الحسين عليهما السلام، فلبث النبي ﷺ حتى نزل، فلما قام عاد

فقد روي أنها قالت : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما وجلسا إلى جانبه ، فأخذ الحسن عليهما على ركبته اليمنى والحسين عليهما على ركبته اليسرى ، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى ، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال : يا رسول الله ، إنك لتحب الحسن والحسين .

فقال : وكيف لا أحبهما وهما ریحانتاي من الدنيا وقرّتا عيني !!

فقال جبرئيل : يا نبي الله ، إن الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له .

→ الحسين فحملة حتى فرغ من صلاته ، فبسط النبي ﷺ يده وجعل يقول : أرني أرني يا جبرئيل . فقلت : يا رسول الله ، لقد رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك صنعته قط . قال : نعم ، جاءني جبرئيل فعزاني في ابني الحسين وأخبرني أن أمي تقتله وأتاني بترية حمراء . وأما ما ورد عن عائشة . فقد روى الشيخ الطوسي في أماليه ص (٣١٦) ، وبحار الأنوار (٢٣٠/٤٤) بسنده إلى أبي سلمة عن عائشة أن رسول الله ﷺ أجلس حسينا عليهما على فخذه وجعل يقبله ، فقال جبرئيل : أتحبّ ابنك هذا ؟ قال : نعم . قال : فإن أمك ستقتله بعدك ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال له : إن شئت أريتك من تربته التي يقتل عليها . قال : نعم ، فأراه جبرئيل تراباً من تراب الأرض التي يقتل عليها ، وقال تدعى الطف . وروي في كامل الزيارات ص (٦٨) ، وبحار الأنوار (٢٣٩/٤٤) و (٣٥/٩٨) ، ومناقب ابن شهر آشوب (١٢٨/٤) ، ووسائل الشيعة (٤٥٠/١٤) عن أبي عبد الله عليهما قال : كان الحسين بن علي عليهما ذات يوم في حجر النبي ﷺ يلعبه ويضاحكه ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، ما أشد إعجابك بهذا الصبي !! فقال لها : ويلك ، وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني ، أما إن أمي ستقتله ، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجّجي . قالت : يا رسول الله ، حجّتين من حجّجك !! قال : نعم ، وأربعة . قال : فلم تزل تزداه ويزيد ويضعّف حتى بلغ تسعين حجة من حجّج رسول الله ﷺ بأعمارها .

فقال: وما هو يا أخي؟

فقال: قد حكم على هذا الحسن عليه السلام أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين عليه السلام أن يموت مذبحاً، وإن لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين عليهما، فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهم ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة.

فقال النبي ﷺ: يا جبرئيل، أنا راض بحكم ربّي، لا أريد إلا ما يريد، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي، ويقضي الله في ولدي ما يشاء^(١).

(١) راجع بحار الأنوار (٢٤١/٤٤). وفي كتب الحديث روايات عديدة عن أم سلمة رضي الله عنها، منها ما روي في أمالي الصدوق ص (١٣٩)، وبحار الأنوار (٢٢٥/٤٤) بسند إلى أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان النبي ﷺ في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليّ أحد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي ﷺ، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي يبكي، وإذا في يده شيء يقبله، فقال النبي: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي.

فقال أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت، فأوحى الله عز وجل إليّ أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين عليه السلام وشيعته، هم والله الفائزون يوم القيامة.

وفي كامل الزيارات ص (٥٩)، وبحار الأنوار (٢٣٦/٤٤) بسند إلى زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نعى جبرئيل عليه السلام الحسين عليه السلام إلى رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، فدخل عليه الحسين عليه السلام وجبرئيل عنده، فقال: إن هذا تقتله أمتك، فقال رسول الله: أرني من التربة التي يسفك فيها دمه، فتناول جبرئيل قبضة من تلك التربة، فإذا هي تربة حمراء.

وأما في يوم عاشوراء، وبعد أن وقعت الواقعة، فقد أشرف رسول الله ﷺ من عالمه الآخر على عالم الدنيا ليظهر حزنه الكبير، معبراً عن أصدقاء المصاب في عوالم الغيب، وكان الرائي له ﷺ أم سلمة.

فقد روي في أمالي الطوسي بسنده إلى ابن عباس قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما لك تصرخين وتغوئين، فلم تجبني، وأقبلت على النسوة

→

وفي الإرشاد (١٣٠/٢)، وبحار الأنوار (٢٣٩/٤٤) بسند إلى أم سلمة أنها قالت: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً والحسين عليه السلام جالس في حجره، إذ هملت عيناه بالدموع، فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك تبكي جعلت فداك؟ قال: جاءني جبرئيل فعزاني بابني الحسين عليه السلام، وأخبرني أن طائفة من أمتي تقتله، لا أنالها الله شفاعتي.

وفي الإرشاد (١٣٠/٢)، وبحار الأنوار (٢٣٩/٤٤) بإسناد إلى أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله ما لي أراك شعثاً مغبراً، فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم، فها هو في يدي، وبسطها إلي، فقال: خذها فاحفظي بها، فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعت في قارورة وشدت رأسها واحتفظت بها.

فلما خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة وأشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان في اليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام أخرجتها في أول النهار وهي بحالها ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيتسرعوا بالشتمات، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي ينعاه فحقق ما رأيت.

الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب، أسعديني وابكين معي، فقد قُتل والله سيدكنّ، وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين، فقلت: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قُتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقممت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت - فإذا بترية الحسين عليه السلام التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنك، وأعطانيها النبي ﷺ فقال: اجعل هذه التربة في زجاجة أو قال في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين - فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخذت أم سلمة من ذلك الدّم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، وأنه قُتل في ذلك اليوم^(١).

(١) راجع أمالي الطوسي ص (٣١٤)، وبحار الأنوار (٢٣٠/٤٥). وخبر رؤيا أم سلمة للنبي ﷺ يوم شهادة الحسين عليه السلام في عالم النوم مروى عن الفريقين بطرق مختلف وألفاظ عدّة، وروى في أمالي الشيخ المفيد ص (٣١٩)، وبحار الأنوار (٢٣٠/٤٥)، وأمالي الطوسي ص (٩٠) بسند إلى غياث بن إبراهيم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: أصبحت يوماً أم سلمة عليها السلام تبكي، فقيل لها: ممّ بكاءك؟ فقالت: لقد قُتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنني ما رأيت رسول الله منذ مضى إلاّ الليلة، فرأيت شاحباً كثيراً، فقلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كثيراً. قال: ما زالت الليلة أحضر القبور للحسين وأصحابه، عليه وعليهم السلام.

أصداء المقتل في سيرة الزهراء عليها السلام

لمصرع الحسين عليه السلام أصداءً وأنباءً، وعجيبٌ أن يقترن نعيه في الأخبار مع مولده، فهوى على قلب أمه الزهراء عليها السلام هوى الصاعقة، وأثر أثره البالغ، وتحسرت عليه عند فرحة لقائه، فبكت عليه حينها ولم ترق لها عبرة.. ولا زالت تبكيه في العالم الآخر.. وتستأثر الأخبار الخاصة بأحوال أمه الزهراء عليها السلام عند مولده، ففيه أحداثٌ تستحق التأمل والدراسة^(١).

→
وروي في أكثر من خبر أن ابن عباس رضي الله عنهما نفسه قد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم عاشوراء على تلك الصفة، ينعى له ولده الحسين عليه السلام، كما في بحار الأنوار (٢٣٢/٤٥)، وإعلام الورى ص (٢٢٠)، وكشف الغمّة (٥٦/٢)، ومثير الأحزان ص (٨٠) بسند إليه أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه يوماً بنصف النهار وهو أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم، فقال: يا رسول الله، ما هذا الدم؟ قال: دم الحسين عليه السلام، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصي ذلك اليوم فوجد أنه قتل في ذلك اليوم.

(١) وفي ما يخص حمل الزهراء عليها السلام بالحسين عليه السلام وخصوصيته وفضله رواية أحبت نقلها، فقد روي في بحار الأنوار (٢٧٢/٤٣) عن الخرايج للراوندي بسنده إلى المقداد بن الأسود الكندي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج في طلب الحسن والحسين عليهما السلام وقد خرجا من البيت وأنا معه، فرأيت أفعى على الأرض، فلما أحست بوطيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قامت ونظرت وكانت أعلى من النخلة وأضخم من البكر، يخرج من فيها النار، فهالني ذلك. فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صارت كأنها خيط، فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ألا تدري ما تقول هذه يا أبا كندة؟ قلت: الله ورسوله أعلم!! قال: قالت الحمد لله الذي لم يمتني حتى جعلني حارساً لابني رسول الله، وجرت في الرمل رمل الشعاب، فنظرت إلى شجرة لا أعرفها بذلك الموضع، لأنني ما رأيت فيه شجرة قط قبل يومي ذلك، ولقد أتيت بعد ذلك اليوم أطلب الشجرة فلم أجدها وكانت

الشجرة أظلتها بورق وجلس النبي ﷺ بينهما.

فبدأ بالحسين عليه السلام فوضع رأسه على فخذه الأيمن، ثم وضع رأس الحسن عليه السلام على فخذه الأيسر، ثم جعل يرخي لسانه في فم الحسين، فانتبه الحسين فقال: يا أبة، ثم عاد في نومه، فانتبه الحسن وقال: يا أبة، وعاد في نومه، فقلت: كان الحسين أكبر؟ فقال النبي ﷺ: إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة، سل أمه عنه!! فلما انتبهتا حملهما على منكبه. ثم أتيت فاطمة عليها السلام فوقفت بالباب، فأنت حمامة وقالت: يا أبا كندة، قلت: من أعلمك أنني بالباب!! فقالت: أخبرتني سيدي أن بالباب رجلاً من كندة من أطيبها إخباراً يسألني عن موضع قرّة عيني، فكبر ذلك عندي. فوليتها ظهري كما كنت أفعل حين أدخل على رسول الله ﷺ في منزل أم سلمة، فقلت لفاطمة: ما منزلة الحسين؟ قالت: إنه لما ولدت الحسن أمرني أبي أن لا ألبس ثوباً أجدر فيه اللذة حتى أطممه، فأتاني أبي زائراً فنظر إلى الحسن وهو يمصّ الثدي، فقال: فطمته؟

قلت: نعم. قال: إذا أحب علي الاشتمال فلا تمنعيه، فإني أرى في مقدّم وجهك ضوءاً ونوراً، وذلك إنك ستلدين حجة لهذا الخلق، فلما تمّ شهر من حملي وجدت في سخنة، فقلت لأبي ذلك، فدعا بكوز من ماء فتكلّم عليه وتقل عليه وقال: اشربي، فشربت، فطرده الله عني ما كنت أجدر.

وصرت في الأربعين من الأيام فوجدت ديبياً في ظهري كدبيب النمل في بين الجلد والثوب، فلم أزل على ذلك حتى تمّ الشهر الثاني، فوجدت الإضطراب والحركة، فوالله لقد تحرك وأنا بعيد عن المطعم والمشرب، فعصمني الله كأني شربت لبناً حتى تمت الثلاثة أشهر، وأنا أجدر الزيادة والخير في منزلي، فلما صرت في الأربعة أنس الله به وحشتي ولزمت المسجد لا أبرح منه إلا لحاجة تظهر لي، فكنت في الزيادة والخفة في الظاهر والباطن حتى تمت الخمسة.

فلما صارت الستة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح، وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاي التسبيح والتقديس في باطني، فلما مضى فوق ذلك تسع ازدادت قوّة فذكرت ذلك لأم سلمة فشداً الله بها أزرني. فلما زادت العشر غلبتني عيني وأتاني آت فمسح

ففي أمالي الشيخ الطوسي بإسناد إلى مولانا الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية، قالت: قبلت جدتك فاطمة بنت رسول الله بالحسن والحسين، فلما ولدت الحسين عليه السلام نفّستها به فجاءني النبي ﷺ فقال: هلم ابني يا أسماء فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وبكى ثم قال: إنه سيكون لك حديث، اللهم العن قاتله، لا تُعلمي فاطمة بذلك.

قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءني النبي ﷺ فقال: هلمّي ابني فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن، وعق عنه كما عق عن الحسن كبشاً أملح، وأعطى القابلة الورك ورجلاً، وحلق رأسه، وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وخلق رأسه بالخلوق، وقال: إنّ الدم من فعل الجاهلية.

قالت: ثم وضعه في حجره، ثم قال: يا أبا عبد الله، عزيز عليّ، ثم بكى، فقلت: بأبي أنت وأمي، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأول!! فما هو؟ قال:

→ جناحه على ظهري، فقمّت وأسبغت الوضوء وصليت ركعتين، ثم غلبتني عيني، فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض، فجلس عند رأسي ونفخ في وجهي وفي قفائي، فقمّت وأنا خائفة، فأسبغت الوضوء وأذيت أربعاً، ثم غلبتني عيني فأتاني آت في منامي فأقعدني ورقاني وعودني. فأصبحت وكان يوم أم سلمة فدخلت في ثوب حمامة، ثم أتيت أم سلمة، فنظر النبي ﷺ إلى وجهي، فرأيت أثر السرور في وجهه، فذهب عني ما كنت أجد، وحكيت ذلك للنبي ﷺ فقال: أبشري، أما الأول فخليلي عزرائيل الموكل بأرحام النساء، وأما الثاني فخليلي ميكائيل الموكل بأرحام أهل بيتي فنفخ فيك، قلت: نعم، فبكى، ثم ضمني إليه، وقال: وأما الثالث فذاك حبيبي جبرئيل يخدمه الله ولدك، فرجعت فنزل تمام السنة.

أبكي على ابني هذا، تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين، ويكفر بالله العظيم، ثم قال: اللهم إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته، اللهم أحبهما وأحب من يحبهما والعن من يبغضهما ملاً السماء والأرض^(١).

وروي في كامل الزيارات بسنده إلى محمد بن عمرو بن سعيد عن رجل من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام أن جبرئيل نزل على محمد ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام وييشرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أمتك من بعدك.

فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، قال: فعرج جبرئيل ثم هبط، فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرئيل إلى السماء ثم هبط، فقال له: يا محمد إن ربك يقرئك السلام وييشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية.

فقال: قد رضيت، ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرنني بمولود يولد منك تقتله أمتي من بعدي، فأرسلت إليه أن لا حاجة لي في مولود يولد مني تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها أن الله جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه أني قد رضيت، فحملته كرها ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

(١) راجع أمالي الطوسي عليه السلام (٣٦٧)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٥٠).

عَلِيٍّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴿١﴾ فلو أنه قال :
أصلح لي ذرّيتي لكانت ذرّيته كلهم أئمة، ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة
ولا من أنثى، ولكنه كان يؤتى به النبي فيضع إبهامه فيه فيمص منها ما يكفيه
اليومين والثلاثة فينبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه، ولم يولد مولود
لسته أشهر إلا عيسى بن مريم والحسين بن علي عليه السلام ^(١).

ويبدو أنّ نبأ مصرع الحسين عليه السلام الذي تلقته أمّه الزهراء عليها السلام عند مولده قد
سبّب لها علة ظاهرة، إذ أنّها تلقته ببالغ الحزن، وربّما يكون السبب في جفاف
لبنها فأرضع النبي ﷺ الحسين عليه السلام من إبهامه الكريم.

كما روي في المناقب أنه اعتلت فاطمة لما ولدت الحسين عليه السلام وجفّ لبنها
فطلب رسول الله ﷺ مرضعاً فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصها،
فيجعل الله له في إبهام رسول الله ﷺ رزقاً يغذوه، ويقال: بل كان رسول الله
ﷺ يدخل لسانه في فيه فيغره كما يغر الطير فرخه، فجعل الله له في ذلك رزقاً،
ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة، فنبت لحمه من لحم رسول الله ﷺ ^(٢).

(١) راجع كامل الزيارات ص (٥٦)، وبحار الأنوار (٢٣٢/٤٤)، والكافي (٤٦٤/١)، وتأويل الآيات
ص (٥٦٣). وروي أيضاً في كامل الزيارات ص (٥٥)، وبحار الأنوار (٢٣٢/٤٤) بسند إلى سالم
بن مكرم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل إلى رسول الله
فقال: إن فاطمة ستلد ولدا تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة الحسين كرهت حمله، وحين
وضعت كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هل رأيتم في الدنيا أمّا تلد غلاما فتكرهه، ولكنها
كرهته لأنها علمت أنه سيقتل، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾.

(٢) راجع المناقب (٥٠/٤)، عنه بحار الأنوار (٢٥٤/٤٣).

وظلّت الزهراء عليها السلام تتلقّى نبأ ولدها في مواطن عدّة، ويتابع النبي صلى الله عليه وآله بكاءه عليه عليه السلام في مواقف عدّة، وتستشعر الزهراء عليها السلام آلام أبيها في كل وقفة تستعيد فيها حرارة أحزانها، لكنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يسليها بما يخفّف عليها.

وروى الكوفي في تفسيره بسنده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبت، أي شيء تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبه كأنهم نجوم السماء يتهدون إلى القتل، وكأنني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، لو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفّعوا فيه، وهم المخلدون في النار.

قالت: يا أبة، فيقتل!! قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، ويبكيه السّماوات والأرضون والملائكة والوحش والنباتات والبحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبيننا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوأم الأرض، وبهم ينزل الغيث.

فقال فاطمة الزهراء عليها السلام : يا أبة، إنا لله، وبكت. فقال لها: يا بنتاه، إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا ﴿أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْنُ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قتلة أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت، يا فاطمة بنت محمد، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش، أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أوليائه ويذود عنه أعداءه، أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار، يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء؟

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه؟

أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك وتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعوا له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا؟

قالت: يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله. فمسح على قلبها ومسح

عينها، وقال: إني وبعلك وأنت وابنك في مكان تفر عينك ويفرح قلبك^(١).

أصداء المقتل في السيرة العلوية

لمصرع الإمام الحسين عليه السلام صلةً وثيقة بإمامة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فبحود الإمامة في يوم السقيفة مظلومية قد فتحت بوابة مظلومية أهل البيت عليهم السلام جميعاً، وقد علم الأب عليه السلام بمصارع أولاده يوم تقمصوا قميصه وعلوا منبره، وتوالت أنباء الأهوال وكست قلبه بالهموم، فظلم الأوائل جرّ إلى حرب الأواخر، وكلّما تتابعت الفتن تجدد حزنه على عقبه، وبقي مصرع ولده عليه السلام شاخصاً أمامه في كلّ خطوة يخطوها في حربه وسلمه.

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام محيطٌ بأنباء الغيب مفصلاً، عالمٌ بتقلّبات الحوادث من بعده حتّى يقوم المهدي عليه السلام بالنصر وإلى ما شاء الله تعالى، فأنبأ عمّا سيجري برؤى ثاقبة، وتمثّل مصرع ولده عليه السلام وآهات بناته يوم الطّف.

ففي أمالي الصدوق بسنده إلى ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

(١) راجع تفسير فرات ص (١٧١)، وبحار الأنوار (٢٦٤/٤٤). وروي في كامل الزيارات، وبحار الأنوار (٢٣٤/٤٤) بسند إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله ﷺ وعيناه تدمع، فسألته ما لك؟ فقال: إن جبرئيل أخبرني أن أمّتي تقتل حسيناً فجزعت وشق عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها فطابت نفسها وسكنت.

قال: فبكى طويلاً حتى أخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكىنا معاً، وهو يقول: أوه أوه، مالي ولآل أبي سفيان!! مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر!! صبراً يا أبا عبد الله!! فقد لقي أبوك مثل الذي تلقي منهم، ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم ذكر نحو كلامه الأول، إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: يا ابن عباس؟

فقلت: ها أنا ذا.

فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدي؟

فقلت: نامت عينك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأنني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض، قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطّة، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه، يستغيث فيه فلا يغاث، وكان الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول، فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثم يعزوني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر فقد أقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين. ثم انتبهت هكذا.

والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم عليه السلام أنني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنها لفي السماوات

معروفة ، تذكر أرض كرب وبلاء ، كما تُذكر بقعة الحرمين ، وبقعة بيت المقدس .
 ثم قال لي : يا ابن عباس ، اطلب في حولها بعر الظباء ، فوالله ما كذبت ولا
 كُذِّبت ، وهي مصفرةٌ ، لونها لون الزعفران .
 قال ابن عباس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة ، فناديته : يا أمير المؤمنين ، قد
 أصبتها على الصفة التي وصفتها لي .

فقال علي عليه السلام : صدق الله ورسوله ، ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها
 وشمها ، وقال : هي هي بعينها ، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعاد ؟ هذه قد
 شمها عيسى ابن مريم ، وذلك أنه مرَّ بها ومعه الخواريون ، فرأى هاهنا الظباء
 مجتمعة وهي تبكي ، فجلس عيسى وجلس الخواريون معه فبكى وبكى
 الخواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى ، فقالوا : يا روح الله وكلمته ، ما
 يبكيك ؟ قال : أتعلمون أي أرض هذه ؟ قالوا : لا ، قال : هذه أرض يقتل فيها
 فرخ الرسول أحمد عليه السلام وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أُمي ، ويلحد فيها طينة
 أطيب من المسك ، لأنها طينة الفرخ المستشهد ، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد
 الأنبياء ، فهذه الظباء تكلمني وتقول : إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة
 الفرخ المبارك ، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض ، ثم ضرب بيده إلى هذه
 الصيران فشمها وقال : هذه بعر الظباء على هذه الطيب لمكان حشيشها ، اللهم
 فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة .

قال : فبقيت إلى يوم الناس هذا ، وقد اصفرت لطول زمنها ، وهذه أرض
 كرب وبلاء ، ثم قال بأعلى صوته : يا رب عيسى ابن مريم ، لا تبارك في قتلته
 والمعين عليه والخاذل له ، ثم بكى بكاءً طويلاً وبكىنا معه ، حتى سقط لوجهه

وغشي عليه طويلاً، ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه، وأمرني أن أصرها كذلك، ثم قال: يا ابن عباس، إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط فاعلم أن أبا عبد الله قد قُتل بها ودفن.

قال ابن عباس: فو الله لقد كنت أحفظها أشد من حفطي لبعض ما افترض الله عز وجل عليّ، وأنا لا أحلها من طرف كمّي، فبينما أنا نائم في البيت إذا انتبعت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باك وقلت: قد قتل والله الحسين، والله ما كذبتني علي قط في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك، لأن رسول الله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره، ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس، ورأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دمٌ عبيط فجلست وأنا باك، فقلت: قد قتل والله الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول قتل الفرخ التحول
نزل الروح الأمين بكاءً وعويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبت عندي تلك الساعة، وكان شهر المحرم يوم عاشوراء، لعشر مضمين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو، فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام^(١).

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق رحمته ص (٥٩٩)، وبحار الأنوار (٢٥٢/٤٤) و (٢٠١/٥٢)،

والخرايج (١١٤٣/٣ و ١١٤٤)، كمال الدين (٥٣٢/٢). وروي في مثير الأحزان ص (١٨)، وبحار الأنوار (٢٤٧/٤٤): عن عبد الله بن يحيى قال: دخلنا مع علي عليه السلام إلى صفين، فلما حاذى نينوى نادى: صبراً أبا عبد الله، فقال: دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لعينيك تفيضان، أغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرئيل فأخبرني أن الحسين يقتل بشاطئ الفرات، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا، واسم الأرض كربلاء.

فلما أتت عليه سنتان خرج النبي إلى سفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها: كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين، وكأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأني أنظر على السبايا على أقتاب المطايا، وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد (لعنه الله) فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه وعدّبه الله عذاباً أليماً.

ثم رجع النبي ﷺ من سفره مغموماً مهموماً كثيراً حزيناً فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي وخيار أرومتي وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل أن ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم، اللهم فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصله حرّاً نارك واحشره في أسفل درك الجحيم، قال: فضج الناس بالبكاء والوعويل، فقال لهم النبي: أيها لناس أتبكونه ولا تنصرونه، اللهم فكن أنت له ولياً وناصرًا، ثم قال: يا قوم إنني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمره فؤادي ومهجتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا وإنني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم عنه أسألكم عن المودة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد أذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

إنّ واقعة كربلاء مستولية بشجائها على مشاعر الوالد العطوف ، فهي لم

ألا أنه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة ، الأولى راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة فتقف علي ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فينسون ذكري ويقولون : نحن أهل التوحيد من العرب ، فأقول لهم : أنا أحمد نبي العرب والعجم ، فيقولون : نحن من أمتك ، فأقول : كيف خلفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربي ؟ فيقولون : أما الكتاب فضيّعناه ، وأما العترة فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض ، فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي ، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم .

ثم ترد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى ، فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في الثقلين كتاب الله وعترتي ، فيقولون : أما الأكبر فخالفناه ، وأما الأصغر فمزقناهم كل ممزق ، فأقول : إليكم عني فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم . ثم ترد عليّ راية تلمع وجوههم نوراً فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أمة محمد المصطفى ، ونحن بقية أهل الحق ، حملنا كتاب ربنا وحلّلنا حلاله وحرّمنا حرامه وأحببنا ذرية نبينا محمد ونصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا ، وقاتلنا معهم من ناواهم ، فأقول لهم : أبشروا فأنا نبيكم محمد ، ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم ، ثم أسقيهم من حوضي ، فيصدرون مرويين مستبشرين ، ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبد الأبدين .

وروي في بحار الأنوار (٤٤/٢٦٦) : عن لوط بن يحيى عن عبد الله بن قيس قال : كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين ، وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس ، فشكى المسلمون العطش ، فأرسل فوارس على كشفه فأنحرفوا خائبين فضاق صدره ، فقال له ولده الحسين عليه السلام : أمضي إليه يا أبتاه ؟

فقال : امض يا ولدي ، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحط فوارسه وأتى إلى أبيه وأخبره ، فبكى علي عليه السلام ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام ؟ فقال : ذكرت أنه سيقتل عطشاً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمم ويقول : الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها .

تبارح خاطره في أحلك الظروف ، وهي الأليف له في الحزن والفرح والخير والشر والرّخاء والشدة والسّلم والحرب ، ولم يغيب يوم مصرع ولده عليّ السلام عن ذاكرته في أحداث وقعة صفين التي يواجه عليّ السلام فيها معاوية بن أبي سفيان والد يزيد قاتل الإمام الحسين عليّ السلام ، كما أنها حاضرة لديه في سائر الظروف.

ورؤي في كامل الزيارات بسنده إلى أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أمير المؤمنين عليّ السلام والحسين إلى جنبه ، فضرب بيده على كتف الحسين ثم قال : إن هذا يقتل ولا ينصره أحد.

فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله إن تلك حياة سوء.

قال : إن ذلك لكائن^(١).

وفي بصائر الدرجات بسنده إلى سويد بن غفلة ، قال : أنا عند أمير المؤمنين عليّ السلام إذ أتاه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ، جئتك من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفطة ، فقال له أمير المؤمنين عليّ السلام : إنّه لم يميت ، فأعادها عليه ، فقال له عليّ السلام : لم يميت ، والذي نفسي بيده لا يموت ، فأعادها عليه الثالثة ، فقال : سبحان الله ، أخبرك أنه مات وتقول لم يميت !!

فقال له عليّ السلام : لم يميت ، والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمار !!

قال : فسمع بذلك حبيب ، فأتى أمير المؤمنين عليّ السلام فقال له : أناشدك فيّ وإني لك شيعة ، وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي.

(١) راجع كامل الزيارات ص (٧١) ، وبحار الأنوار (٤٤/٢٦١).

فقال له علي عليه السلام : إن كنت حبيب بن جَمَّاز فَتَحْمَلَنَّهَا ، فوَلَّى حبيب بن جَمَّاز وقال : إن كنت حبيب بن جَمَّاز لتحملنها !!

قال أبو حمزة : فو الله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته ، وحبيب صاحب رايته ^(١) .

وسبق العلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالشخص الذي يباشر قتل ولده عليه السلام ، وأمير جيش عدوه ، ولو ضمنا الأخبار المروية المعبرة عن أصداء الحادثة السابقة عليها لأفصحت عن كل أحداثها اللاحقة بتفاصيلها المشجية !!

وفي أمالي الصدوق بسنده إلى أصبغ بن نباتة قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو الله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا نبأتكم به ، فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟

فقال له : أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها ، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس ، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه ^(٢) .

(١) راجع بصائر الدرجات ص (٢٩٨) ، وبحار الأنوار (٢٨٨/٤١) و (٢٥٩/٤٤) .

(٢) راجع أمالي الصدوق ص (١٣٣) ، بحار الأنوار (١٤٦/٤٢) و (٢٥٦/٤٤) . وقد روي هذا الخبر بألفاظ شبيهة بهذا اللفظ مؤدبة نفس المعنى ، كما في الإرشاد (٣٣٠/١) ، وبحار الأنوار (١٢٥/١٠) و (٣٢٧/٤١) و (٢٥٨/٤٤) ، الإحتجاج (٢٦١/١) ، وإعلام الورى ص (١٧٤) ، وكشف اليقين ص (٧٥) ، ونهج الحق ص (٢٤١) : أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فقال في خطبته : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو الله لا تسألوني عن فئة تضلّ مئة وتهدي

فشاع خبر ابن سعد بين خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدت الشيعة جريمته من المسلّمات قبل المقتل ، وجاء هذا المعنى في رواية الأربلي رحمته الله عن عبد الله بن شريك العامري أنّه قال : كنت أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون : هذا قاتل الحسين عليه السلام ، وذلك قبل أن يقتل بزمان طويل^(١).

مئة إلا أنباتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة ، فقام إليه رجل فقال : أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لقد حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله بما سألت عنه ، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملك يلعنك ، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطان يستفزك ، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به ، ولو لا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ، ولكن آية ذلك ما أنباتك به ، من لعتك وسخلك الملعون. وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو ، فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولى قتله ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) راجع كشف الغمّة للأربلي (٩/٢) ، وبحار الأنوار (٢٤/٢٦٣). والروايات عديدة في هذا الصّدّد ، وقد نصّ كثير منها على علم نفس مولانا الحسين عليه السلام بقاتله أيضاً ، وإليك هذه الرواية المروية في الإرشاد (١٣٢/٢) ، وبحار الأنوار (٤٤/٢٦٣) ، وكشف الغمّة (٩/٢) : عن سالم بن أبي حفصة ، قال : قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله ، إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنني أقتلك !! فقال له الحسين عليه السلام : إنهم ليسوا سفهاء ، ولكنهم حلماء ، أما إنه يقر عيني أن لا تأكل برّ العراق بعدي إلا قليلاً.

أصداء المقتل في السيرة الحسينية

الإمام الحسن بن علي عليه السلام وارث الإمامة الربانية والعلم النبوي، وطبيعيٌّ أن تكون أصداء الطّف حاضرة أمام عينيه شأنه شأن سابقيه من أهل بيت العصمة عليهم السلام، وبما أنّ دوره يختلف عن أدوارهم فقد زاد عليهم ممهداً لقيام الحسين عليه السلام، فأبلى بلاءً حسناً في نجاح أهداف أخيه، وأدّت هُدنته مع معاوية إلى ظفر القضية الحسينية وبلوغها غاياتها.

فالحسنان عليهما السلام شريكان في إنجازات يوم الطّف، وثمار هُدنته مع عدوّه خالدة كخلود قضية الحسين عليه السلام، بل هما بحسب التحقيق قضية واحدة، إذ لا يمكن فقه ظروف الطّف دون فقه ظروف الصلح، والظرفان ينصبّان في سياسة واحدة. ثمّ أحكم الحسن عليه السلام ميثاق الإمامة لأخيه عليه السلام عند وفاته ونصّ عليه، واستعظم يومه الذي ليس كمثلته يوم، واستحضر مشاهد الطّف بأحزانها وآهاتها. فقد روي في إعلام الوري بإسناده إلى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة قال: يا قنبر، أنظر هل ترى وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد؟

فقال: الله ورسوله وابن رسوله أعلم. قال: امض فادع لي محمد بن علي. قال: فأثيته، فلما دخلت عليه قال: هل حدث إلاّ خير؟ قلت: أجب أبا محمّد، فعجّل عن شسع نعله فلم يسوّه، فخرج معي يعدو، فلما قام بين يديه سلّم. فقال له الحسن: اجلس، فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيا به الأموات

ويموت به الأحياء، كونوا أوعية العلم، ومصاييح الدجى، فإن ضوء النهار بعضه أضواً من بعض، أما علمت أن الله عز وجل جعل ولد إبراهيم أئمة وفضل بعضهم على بعض، وأتى داود زبوراً، وقد علمت بما استأثر الله محمداً ﷺ، يا محمد بن علي، إني لا أخاف عليك الحسد، وإنما وصف الله تعالى به الكافرين فقال: ﴿كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً، يا محمد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك ﷺ فيك؟

قال: بلى.. قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحب أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمداً، يا محمد بن علي، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتكَ، يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روعي جسمي إمام من بعدي، وعند الله في الكتاب الماضي وراثته النبي أصابها في وراثته أبيه وأمه، علم الله أنكم خير خلقه، فاصطفى منكم محمداً واختار محمداً علياً، واختارني علياً للإمامة، واخترت أنا الحسين.

فقال له محمد بن علي: أنت إمامي وسيدي، وأنت وسيلتي إلى محمد، والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره بعد الرياح، كالكتاب المعجم في الرق المنمنم، أهم بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرسل، وإنه لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين، ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلاًماً، وأقربنا من رسول الله رحماً، كان إماماً قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله أن أحداً

خير منّا ما اصطفى محمداً ﷺ، فلما اختار محمداً واختار محمداً علياً إماماً واختارك عليٌّ بعده واخترت الحسين بعدك سلّمنا ورضينا بمن هو الرضا وبمن نسلم به من المشكلات^(١).

وروي في أمالي الصدوق بسنده إلى المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه عن جده ﷺ: أن الحسين بن علي ﷺ دخل يوماً إلى الحسن ﷺ فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنع بك!!

فقال له الحسن ﷺ: إن الذي يؤتى إليّ سم يدس إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد ﷺ وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاك ثقلك، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء، حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار^(٢).



(١) راجع إعلام الوري ص (٢١٦)، وبحار الأنوار (١٧٤/٤٤)، والكافي (٣٠٠/١).
 (٢) راجع أمالي الصدوق ص (١١٥)، بحار الأنوار (٢١٨/٤٥)، اللهوف ص (٢٥)، مثير الأحزان ص (٢٣)، مناقب ابن شهر آشوب (٨٦/٤).

